

## آشور ومعبدتها في ضوء النصوص القديمة

بول كاريلي

في موقع استمر مأهولاً بدون انقطاع لفترة طويلة غالباً ما لا توجد سوى بقايا قليلة من المباني القديمة اذ تكون قد حلت محلها مباني من حجم وتصاميم مختلفة . وعندما نقرأ كتابات قديمة تذكر بعض المباني او الترميمات نجد صعوبة بالغة في تحديدها بالضبط : ان الحقب القديمة تعتبر في ظرف غير موات من هذه الناحية ولكن مواقع معينة مثل آشور تدعو لذكر عدة ملاحظات .

اولاً يجب البحث عن الكارم القديم<sup>(١)</sup> واستناداً الى مثال كانيش يجب عدم استبعاد اكتشاف كارم آشور . وسيكون ذلك ذا اهمية كبرى لانه يمكننا من فهم الفترات المبكرة في التاريخ الآشوري اذا ان الكتابات الرسمية التي اكتشفت في اكتشاف كارم الموقع قليلة . وقد حصلنا من كارم كانيش على حوالي ٢٠ الف لوح لا يزال اكثر من ١٥ الف لوح منها غير منشور . ولكن حتى اذا اخذنا بنظر الاعتبار الأربعة الآف لوح الأخرى فإن بوسعنا ان ننصو الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد آشور القديمة .

يمكن تقسيم هذه الألواح الى مجموعتين : مجموعة ارسلت من آشور الى كانيش ومجموعة اخرى كتبت في كانيش نفسها أما كوثائق حسابية ليحتفظ بها في ذلك المكان او كنسخ لوثائق ارسلت الى بلاد آشور . ومن المحتمل ان تكون نفس العملية قد طبقت في آشور حيث يجب ان تكتشف الملفات المحلية ونسخ الوثائق المرسلة الى كانيش . ولأن تنتقل الى حالة كوثابه . تشير كانيش الى المكان الذي يجب ان يكون فيه المركز التجاري . انه ليس ضمن التل بل كان يقع في السهل القريب خارج الأسوار . ولكن يجب الاحتراز عند استعمال تعبير ( خارج الأسوار ) اذ انه تعبير قد يؤدي الى الوقوع في خطأ . اننا نعرف الآن ان المركز التجاري كان يقع ضمن منطقة مدنية كانت غحاطة بالأسوار أيضاً . وقد اكتشفت حجارة كبيرة الحجم من تلك الأسوار في قلأة نهر صغير على مسافة من التل ولهذا السبب بقيت غير مكتشفة . ويجب ان نتوصل الى ما اذا كان المركز يقع في آشور نفسها ام في مركز قريب مشابه بالقرب من أسوار المدينة . واذا نجحنا في التوصل الى الملفات القديمة في آشور فقد تلقى الضوء على ملفات كانيش من الزاوية الخاصة المتعلقة بمصادر وظروف البضائع المصدرة الى آسيا الصغرى ، وقد يكشف المرء نصوصاً رسمية تشبه كتابة ايريشوم التي عثر عليها في كانيش (٢) والتي تزودنا بتفاصيل عن حكمه واعماله التي انجزها في آشور اكثر من الوثائق التي وجدت في تلك المدينة .

اننا نعرف الآن ان النصوص الآشورية القديمة يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار في اية محاولة لتحديد تاريخ القصر القديم في آشور . ومن الممكن ان يعود تاريخه الى شمسي اداد الأول كما اعتقد اندريه Andrae لاسباب معمارية وهي فترة ميل ماركوبيرون J.Margueron . الآن لتأييدها ولكن يجب الا نختار ذلك التاريخ لأن الملوك قبله لم يكونوا اقوياء لدرجة كافية لتحقيق مثل تلك المنجزات الضخمة . يجب الا يعبر عن المشكلة من حيث القوة الملكية بل من حيث الثروة الاقتصادية . لقد كان الملوك الآشوريون اثرياء جداً بفضل التجارة مع كبادوكيا وكانوا قادرين تماماً على انشاء قصر ضخم جداً بالقياس الى قوتهم السياسية الفعلية .

ربما انشئ القصر بعد حكم ايريشوم الأول ١٩٤٠ - ١٩٠١ قبل الميلاد رغم ان ختماً لهذا الملك قد وجد في الغرفة ٤٦ . ان معظم اللوحات الكبادوكية التي تعود الى الكارم الثاني يعود تاريخها الى حكم سركون الأول وبوزور آشور الثاني اي بعد عام ١٩٠٠ قبل الميلاد وقبل عهد ايريشوم الثاني الذي ربما حكم من سنة ١٨٢٠ قبل الميلاد . وحكم شمسي اداد من ١٨١٣ وحتى ١٧٨١ قبل الميلاد . ان تاريخ القصر يستند اساساً الى شكل الطابوق وهو نفس شكل الطابوق في معبد آشور الذي انشأه ذلك الملك . ولكن هل نستطيع الآن ان نؤرخ شكل الطابوق من فترة حكم محددة ؟ أليس الأجدر بنا ان نعتمد فترة بكاملها ؟ ثم الا نستطيع ان نعتبر فترة ايريشوم الأول الذي انشأ أيضاً معبداً في آشور ؟ يجب الا ننسى بأن الملوك لم يشيروا الى بناء قصورهم قبل القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

ان كتابات ايريشم الأول وخاصة النص الطويل الذي عثر عليه في كانيش والذي يزودنا بتفاصيل مهمة تمكننا من تصور شكل المعبد في آشور. ولكن مهما تكن أهمية الأعمال التي نفذت عبر القرون<sup>(٤)</sup> فيجب ان نأخذ بنظر الاعتبار البناء الأولي لكي نفهم التغييرات التالية اذ ان المصطلحات الفنية بقيت. يقول ايريشم: ( لقد بنيت مشالام وكاشوم واتمانوم لاهي. واقمت عرشاً عالياً. ووضعت حجر الدم في مقدمته. واقمت الابواب. وقد وقف آشور لاهي بجانبه وتركت اراضي لاهي آشور بين بوابة الغنم وبوابة الشعب. لقد انشأت الازارم كله ) .

لنلاحظ أولاً ان هذه التفاصيل بشكل اقل دقة توجد ايضاً في كتابات ايريشم من آشور. ولكن لم يعثر عليها جميعاً في موقعها. لكنها تضم اشارة الى مباني بقيت اسماؤها الى نهاية التاريخ الآشوري. ان ترجمة المصطلحات الفنية الثلاثة الأولى غير مؤكدة. وتستند الى حد ما على قدر الاستنتاج. ه اتنا نعلم ان الواتمانوم كان يعني المقدس (Cella) اي الجزء المحجوب من المعبد حتى عهد اسرحدون. ولكن ما معنى مشالام؟ يعتقد البعض ان هذا المصطلح يعني بوابة ذات درجة او (Treppentor) اذا استعملنا كلمة ولادسبيركر and B. landsberger في K. Balkan 14 Belleten. والحقيقة ان هذا التفسير عليه وضع الأرض في آشور حيث توجد مستويات مختلفة كثيرة.

لقد حدد اندريه موقع المشالام عند مدخل المدينة الواقع عند اسفل المنحدر حيث تقع الزقورة<sup>(٥)</sup>

وقد استند في تحديده الموقع الى نقش كتابي يعود الى اداد نيراري الأول يذكر اجراء تصليح للمشالام رغم انه يعترف بأنه من المعبد! وقد يكون نقشان كتابيان اشار اليهما اندريه اكثر اقناعاً اذ انها اكتشفت في موقعيهما ولكن في النقش الكتابي الأول يشير سنحاريب الى مشالام القصر في وسط آشور<sup>(٦)</sup> وفي الثاني يؤكد اسرحدون الى انه كان بيتواي جزءاً من قصره واستعمل كمدخل لذا فهو ليس بوابة مدينة كما ذكر اندريه ( في نفس المصدر صفحة ٦٣ ) ان اكتشاف هذه النقوش الكتابية في اسفل منحدر لا يثبت شيئاً. فهي لا تدل على ان موقع المشالام في ذلك المكان اكثر منه قرب المعبد اذ ان الملوك اعتادوا ان يدونوا اعمال التعمير في اي مكان ممكن. واذا كان المشالام في الموقع الذي يوجد فيه حقاً فيجب اعطاء اسباب اخرى غير التي اوردها اندريه. ان هذا يقودنا الى العودة الى مسألة السلم.

لقد بدا ان فان دريل G. van Driel قد توصل الى استنتاج سلبي<sup>(٨)</sup> عندما فحص قائمة بوابات نينوى اذ ان بعضها على الجانب الشرقي من المدينة لم تكن بحاجة الى مثل ذلك البناء. ولاحظ ( الصفحة ٣٦ ) انه لم يكتشف في لأشوراي سلم يستحق الذكر. لذا يجب التزام جانب الحذر. يجب الان بدأ من الترجمة ( سلم ضخم ) لنحاول ان نجده في الموقع اذ ان هذه الترجمة تقوم على افتراض يرتبط بطوبوغرافية آشور كلها. ولذا تبقى المسألة معلقة. ولكن تبقى حقيقة انه بوابة ضخمة تستخدم احياناً كبيتو ولذا كانت تضم غرفاً جانبية.

ان معنى كلمة كاشوم غير معروف. واذا كان لاندسبيركر وبالكان يترجما منها ك فناء (Hof) فإن ذلك قد يعود الى نوع من الاستنتاج لأن على المرء ان يتصور شيئاً ما بين المقدس Cella والباب وكما يقول لارسن ( نظراً لعدم وجود اي مصطلح آخر له هذا المعنى كما يبدو )<sup>(٩)</sup>. وقد اضاف لاندسبيركر وبالكان الملاحظة التالية في كتابهما: <sup>(١٠)</sup> «Kisallu, auch tarbasu» ولكن هذه الاشارات لا تستند الى معادلة لغوية. واذا كانا على صواب فإن ذلك مجرد حدسي صرف. وعلى الآثاريين الا يستخدموا مثل هذه الافتراضات في محاولة تحديد المباني التي يكتشفونها.

يضيف نص ايريشم انه انشأ ( كل الازارم ) ان كلا المصدرين السابقين يعتبرانها «Nebenanlagen» ويقارنان الكلمة بكلمة (r) u tisar الواردة في كتابات منقوشة تلتها<sup>(١١)</sup> ان (1206) CAD يعتبرها ( قسماً خاصاً من منشآت المعبد خارج المبنى الرئيسي كان يضم المقدس وربما كل المباني ضمن المنطقة والتي لم تكن فعلاً بيت آشور. ويجب ربط الكلمة بـ اوشارو او اشارو ( فناء ) او بالكلمة الاجنبية تيسارو الواردة في نصوص تالية من بلاد آشور .. ) ويتدرد كريسون A.Grayson اذ يقول ( انشأت كل منطقة المعبد )<sup>(١٢)</sup>. أما فان دريل فإنه يبدي تحفظاً اكثر ويرى ان ( معنى الكلمة الأساسية ايسارو مسألة حدس تقريباً ) ( نفس المصدر ص ٨ ) ان كل ذلك غامض جداً بحيث لا يسمح بالتوصل الى استنتاجات آثارية.

لقد كان هذا هو المعبد الذي أنشأه شمشي اداد الأول . ولما كان الملك يتحدث عن معبد انليل في كتابته العظيمة<sup>(١٣)</sup> KAH1,2 فلا بد من اثارة السؤال فيما اذا كان هناك معبدان . لقد بحث فان دريل المشكلة بدقة ( ص ١١ - ١٢ ) وهو يميل الى تبني الحل الثاني لأن الملك يميز بين الالهين بدون ان يدمج احدهما بالآخر . ولكن لما كان معبد انليل قد اختفى فلربما دمر في العهد الفرثي . ولكن يجب اجمال كل هذه الافتراضات لأن آشور كما بين كريسون بوضوح (ARI, 19) يقرن ب انليل . ولذا هناك معبد واحد فقط هو معبد الاله آشور بناءه ايريشوم الأول والذي اعاد بناءه شمشي اداد الأول .

ولكن تبقى بعض المشاكل : ماذا فعل شمشي اداد بالمبنى ؟ انه يقول ان المبنى قد دمر ( ايناه ) وكذلك ( اوشاس امسيكشو ) . كيف نترجم الفعل ناساكو ؟ لقد مال AHW AW 752 b وكذلك كريسون (ARI 20) الى ترجمته بمعنى ( يهجر ) بتردد . ولكن هذا الفعل يعني اولاً ( يهدم ) وبالإمكان ان نتصور ان الملك هدم المعبد قبل ان يعيد بناءه وعلى اية حال فإن الترجمة ( يهجر ) تفيد فكرة ان المبنى قد هدم تماماً ليعاد بناؤه في مكان آخر لأنه ليس بالإمكان ترك الخرائب في مثل هذا المكان .

في عهد شمشي اداد الأول لم يكن هناك وجود للقصر الجنوبي الغربي «Sud westhof» الذي اقامه شلمنصر الأول . ان هذا يزيد المجال مما يسهل تصور ان معبد ايريشوم الأول اكثر انسجاماً مع اتجاه الزقورة . ولكن في هذا المجال المفتوح بالضبط اكتشفت اسس القصر الذي أنشأه شلمنصر الأول . هنا نواجه مرة أخرى مشكلة المشلال كما ذكر فان دريل ( صفحة ١٣ ) : مدخل واسع يرتبط بالمعبد كما ذكر ايريشوم الأول وبالقصر الملكي استناداً الى سنحاريب واسرحدون . ان فان دريل يتساءل ما اذا كان هذا التغيير كان نتيجة بناء القصر من قبل شلمنصر الأول الا اذا اعترفنا بأنهم كان يوجد عدة مشلال كما هي الحال في نينوى .

ويؤكد ان علينا ان نعترف بوجود علاقة ما بين الزقورة والمعبد والقصر الملكي قد « تظهر جانباً غير معروف جيداً من الطقوس الدينية الآشورية » ( ص ١٤ ) ولكن هناك مؤسسة يجب عدم نسيانها فالملك هو سانكو (Sangu) الهة اي انه كبير كهنة الاله ومديره الاداري . فهل ان من الغريب ان ينشئ مكان سكنه بالقرب من مكان الهه ؟ هناك جملة في كتابة ايريشوم المنقوشة لم تلق سوى اهتمام قليل وربما تفسر كما يلي ( آشور ، الهي ، وقف بجاني ، و ... تركت بعض الأراضي لاهي آشور ) ( قارن صفحة ٣ ) . لقد ترجم كريسون الجملة كما يلي : ( مع آشور الهى الواقف بجاني خصصت بعض الأرض لآشور الهى ) (ARI صفحة ١٢) وكأن الملك قد اتخذ القرار وهو بجانب تمثال الاله . يجب عدم استبعاد ذلك رغم انه في هذه الاشارات نجد ثلاثة تفاصيل تخص الموقع : المعبد والقصر والأرض المكشوفة التي تركت للمعبد . وربما استعملت تلك الأرض فيما بعد لانشاء قصور شلمنصر الأول وتوكلتي مينورتا الأول ، ولكن المرء يتساءل ما اذا كانت مباني شمشي اداد قد غيرت الخطط الأهلية . هنا مرة أخرى يجب ان تؤكد اهمية النصوص القديمة وضرورة اكتشافها او معرفتها بشكل افضل .

كما يجدر بالذكر انه لما كانت مباني شمشي اداد الأول قد دمرها الحريق فإن شلمنصر الأول اعاد بناءها وفق النموذج الأصلي . ومن بين المباني او الغرف التي دمرت ذكرت بيت اشيرتاشو وسوكي وساكي وهي أماكن مقدسة . كما يذكر احد النصوص بيت باباهي ، وهو كما يقول فان دريل ( صفحة ١٦ ) ( مقام آشوراي الغرفة التي كان يوجد فيها تمثال الاله عادة ) . ان بيت باباهي يثير مشكلة ايضاً . اذ يبدو انه كان بمثابة مصلى يوجد فيه تمثال للاله . ولكننا نعرف انه في ماري كان المكان يقع قرب ساحة اشجار النخيل حيث كان يقف المحاسبون . ولهذا السبب ترجم بريو المصطلح الى ( مكتب ) «bureau»<sup>(١٤)</sup> وربما كانت كلا الترجمتان صحيحتين . ولكن ما يحتمل ان يكون اقل صحة هو فكرتنا عن المكان المقدس وربما كانت هناك في المكان الذي يعبد فيه تمثال الاله غرف يعمل فيها المحاسبون . واذا تمسكنا بالترجمة التقليدية فقط نستبعد تحديدات معينة على الخارطة .

لقد قام شلمنصر الأول ايضاً باعادة بناء مصلى القضاة الالهيين وهو مقام نونامير وربما كان انليل وكذلك التارباشو . ولا نعرف المعنى الحقيقي لهذه الكلمة التي ترجمها كريسون بمعنى ( نفقة؟ ) (ARI 86) . وقد لاحظ فان دريل ان انليل اقام في بيت هورشي استناداً الى كتاب العناوين ( صفحة ١٧ ) Addressbook .

ان كلمة هورشوتعني ( مخزن )<sup>(١٥)</sup> ولكنه لا يعرف كيف يفسر مثل تلك العلاقات ( ص ٤٢ ) . والآن لننتقل الى المثال بيت باباهي في

ماري فقد يساعدنا ذلك على التفسير : ان مبنى يشار اليه باعتباره ( مطبخاً ) يمكن ان يعتبر جزءاً من المكان المقدس . لقد كانت هناك ساحة لـ نونامير ترتبط بمنطقة المشالو . وكل ذلك قد يعود بنا الى الجهة الجنوبية الغربية وساحة نونامير التي وضعت بانها القصر الجنوبي الغربي «Sudwesthof»<sup>(١٦)</sup> . ان هذا التحديد اكثر احتمالاً اذ ان القصر الرئيسي Haupthof لم يكن قد تم توسيعه . واذا كان ذلك صحيحاً فان الأدلة الآتية تؤيد النصوص الرسمية مرة اخرى نجد نفس العلاقة بين كلمات تعني مصلى ومخازن في الاجزاء التي اعاد سنحارب بناءها . ان الجزء المؤدي الى المقدس cella كان يسمى بيت شاموري ويعادل بيت هيلاني . وكان للمدخل مصليان احدهما مكرس لـ كاكا والآخر لـ نوسكو . وكانا ايضاً بيت كاتي اي مخزن . ان ما قلناه آنفاً ، يجب الا يفسر بأن هذا المعنى ثانوي . ان فكرتنا عن المكان المقدس واستعماله هي التي يجب ان يعاد فيها النظر . لقد كانت هذه المصليات مقابل مصليات آشور . وقد كرست الكبرى منها الى آشور وهي الغرفة صفر . وتقودنا هذه التفاصيل الآتية الى الشمال الشرقي قرب ( بيت الملك ) ، ففي غرفة في الجناح الايمن من بيت هيلاني كان يقع مصلى نينورتا قرب مصلى كاكا<sup>(١٧)</sup>

وبوسعنا ان نتحقق من نفس الشيء في مصلى انليل ومصلى نينليل كانت الالهة في بيت كورش<sup>(١٨)</sup> بينما كان انليل يشارك داکان وويل لابريا في مصلى واحد يعرف عموماً بـ بيت داکان مما يدعوفان دريل للاعتقاد انه كرس لانليل فيما بعد ( صفحة ٤١ ) . ولكن يمكن ان نقبل بأنه لما كان انليل يعتبر نفس الاله مثل آشور فقد أصبح له امتياز المصلى الرئيسي ، وكان المصلى الصغير مكرساً بصورة رئيسية لـ داکان . انه بيت هورشي ولذا فإنه مخزن . ويمكن تحديد موقعه على اساس الطقوس التي كانت تمثل المسيرة التي اعادت تمثال آشور الى معبده : « في اليوم الذي يتوقف على باب الشمس المشرقة »<sup>(١٩)</sup> وربما كان الباب بين الفناء الامامي والقصر الرئيسي وكان الاله قد غادر القصر الاوسط حيث تقع الغرفتان W ولا على كل جانب وربما كانتا مصلى انليل وداكان ومصلى نينليل .

وبفضل الطقوس وتقارير البناء نستطيع ان نحاول تحديد الغرف في معبد آشور ولكننا يجب الا نخدع بالاسماء المختلفة ، فقد يكون هناك عدة الهة في نفس المصلى وتبقى الصورة كلها معقدة بالتمييز بين الالهة . ان حالة آشور انليل مثال على ذلك . ولكن حقيقة ان انليل هو آشور لا تحرمه من حق تخصيص غرفة لاسمه الثاني ولاله آخر في نفس الوقت . كما ان كل تلك « المصليات » كانت مصممة بشكل مرافق اعتيادية مثل المطبخ والمخزن . وربما كانت هذه الاسماء هي الكلمات المناسبة كما تبين حالة بيت باباهي في ماري . ومن الممكن جداً انه كانت في تلك الغرف تماثيل للاله وفي نفس الوقت تستعمل للإدارة والنشاطات التجارية في المعبد ككل . ولاننا نستعمل كلمات مثل « مصلى » « معبد » فاننا نميل لاضفاء نوع من الطابع المقدس عليها ربما لم تكن تحمله او على الأقل ليس بشكل دائم . ولكن حالة مقدس الاله الرئيسي يجب ان تعتبر حالة منفصلة .

ان ذلك كله لا يزال غير معروف بشكل كاف . ولكننا اذا تمسكنا بالاتجاهات العامة الرئيسية فإن النصوص المتيسرة لنا تمكننا من تحديد المجموعات الرئيسية التي اكتشفها المنقبون . ورغم انه امكن تصور المجموعات الرئيسية التي تعود الى فترات متأخرة فلا يمكن استبعاد وجود منشآت دامت اكثر مما قد نتصور . ان حقيقة ان المعبد او القصر قديم لا يعني انه اصغر من معبد او قصر عاهل يحكم امبراطورية . وهنا تعتبر القوة السياسية اقل اهمية من الثروة الاقتصادية . ونحن نعرف ان الملوك الآشوريين القدماء كانوا اثرياء جداً . وليس من المدهش ان خلفاءهم تمّنوا ان يكونوا افضل فهذا جزء من الايديولوجية الملكية وقد كان بعضهم اقوياء واثرياء . والوحيد الذي تنشأ حوله مشاكل تتعلق باعادة التصميم الكامل لمعبد آشور هو شمسي اداد الأول . اذ بعده كانت المسألة تتعلق باصلاح او تزوين الاجزاء القائمة . ولكن حتى في عصر شمسي ادا بوسع المرء ان يتساءل ما اذا كانت التغييرات اساسية حقاً . يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار التفاصيل التي وصلتنا من الملوك القدماء مثل ايريشوم الأول ولكل العصور . وهذه الحقيقة تبين مدى فائدة توفير معرفة افضل بمدينة آشور القديمة ككل .